قبسات

من سيرة الرسول الأعظم مع أهل الكتاب

محمد عيدان العبادي

قبسات

من سيرة الرسول الاعظم صل الله عليه و آله

مع أهل الكتاب

محمّد عيدان العبادى

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذى اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّى النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته الّتى أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها الّتى ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة الّتى حرصت فى الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام فى خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب فى كلّ عصر.

إنّ التجارب الّتى تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

فى هذا المضمار فريدة فى نوعها ; لأنّها ذات رصيد علمى يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوى الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة. وقد تشرف المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام فى هذا العام ـ ١٣٨٥ هجرى شمسى ـ الذى أطلق عليه قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد الخامنئى (دام ظلّه الوارف) «عام النبىّ الأعظم صلى الله عليه و آله» أن يساهم فى التعريف بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام .

والكتاب الذى بين يدى القارىء الكريم «**قبسات من سيرة النبىّ الأعظم صلى الله عليه و آله مع أهل الكتاب**» ليس إلاّ محاولة متواضعة لتبيين صفحة مضيئة من ذلك النور المتلألىء فى تعامله ومواقفهصلى الله عليه و آله من أهل الكتاب.

ونتقدم بخالص شكرنا وتمنياتنا بالتوفيق لسماحة الشيخ محمّد عيدان العبادى لاستجابته الى طلب قسم التأليف والتحقيق فى المعاونية الثقافية للمجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام، ولكلّ الإخوة الذين ساهموا فى إخراجه.

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام — المعاونية الثقافية

مقدّمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

إنّ تاريخ الأنبياء تحدث عن سعة الأخلاق الكريمة التى بسطوها بين الناس، حيث جاءوا لتوثيق عرى الأُخوة بين بنى البشر، فلم يعرف عنهم أنهم أُرسلوا من أجل العداء بين الناس كما لم يعهد منهم أنهم ضاقت بهم أنفسهم فنأوا عن تبليغ الرسالات التى بعثوا بها.

وعلى العكس من ذلک كان أعداؤهم يبّيتون لهم السوء، ويحرضون عليهم، ويقاتلونهم أو يخرجونهم عن ديارهم عدواً عن علم أو غير علم.

إنّ الباعث الذى دعا إلى كتابة هذا الموضوع هو تناول غير المسلمين لشخص الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله ونعته بصفات لا تليق بساحته المقدسة، ومن خلال القراءة المنصفة للسيرة النبويّة يجد المتتبع أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى جاء بمكارم الأخلاق ونادى بها ، فى الوقت الذى كان عصره يعج بالتدنى الأخلاقى، ففرش للناس ـ على اختلافهم ـ عظيم

أخلاقه، وقد كانت سيرته فى أهل الكتاب ذات دلالات إنسانية وأخلاقية، و لأجل هذا نحن نهدف من خلال عرض الموضوع إلى إبراز الجوانب الإيجابية التى تقرّب بين المسلمين وأهل الكتاب وإبراز وجهها الإنسانى والحضارى.

لقد كان الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله يقدّم خطابه وبلاغه للناس ببيان وبرهان، أما أولئک الذين ناصبوه العداء فكان خطابهم يحمل روح الاتهام والاستهزاء والتحريض ويبتعدون عن مقابلة الحجّة بالحجّة والدليل بالدليل.

والمسلمون على مر العصور يحترمون الأنبياء جميعاً لأنهم ذرية بعضها من بعض، ويؤدون دورهم فى تربية وتعليم الإنسان، ولهذا نجد أنّ القرآن الكريم يتعرّض لقصص الأنبياء ويعتبرهم أُسوة لبنى البشر، وبتبع ذلک كان الرسول صلى الله عليه و آله قد بين لهم ما نزل إليه، فأسس ذلک الاحترام ورسخه فى نفوس المسلمين.

وقد سلطنا الضوء على الموضوع بأُسلوب وصفى مشفعاً بالآيات والروايات من مصادر الفريقين.

وتناول الموضوع عدة مباحث من قبيل أهل الكتاب وتواجدهم فى شبه الجزيرة العربية، وأهم طرق التبليغ التى اتّبعها

الرسول فى أهل الكتاب، والتعاليم التى أُنزلت على الرسول فيهم سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو دينية، ثم تعرضنا لذكر بعض النماذج الأخلاقية التى للرسول فى أهل الكتاب، وأخيراً تطرّقنا لذكر حقوقهم فى دولة الرسول. ثم الخاتمة حيث أوجزنا فيها خلاصة ما تعرضنا إليه فى المقام.

أهل الكتاب فى شبه الجزيرة العربية

تمهيد:

شهدت الجزيرة العربية فراغاً كبيراً فى العلاقات الإنسانية، أدت إلى تداعيات خطيرة تهدد مستقبل الإنسان، حيث غلب على الناس آنذاك الطبيعة العدوانية فأصبحوا يجتهدون لابداع أساليب مختلفة فى عملية الصراع والغارة على بعضهم بعضا و لشدّة تردّى الأوضاع فى المجتمع وسم العصر الذى واكبوه بالعصر الجاهلى .

وجاء الإسلام ليقيم صرح علاقات حضارية تتجاوز محل الأُطر بين الإنسان و نظيره الإنسان، و كان رائد البناء هو الرسول الأكرمصلى الله عليه و آله الذى يتمتع بكل الصفات الإنسانية، حيث دعى الناس إلى الإسلام بغض النظر عن هويتهم الدينية،

وكان أهل الكتاب من بين الناس الذين دعاهم إلى الإسلام.

وقبل البدء في بيان هوية أهل الكتاب في شبه الجزيرة العربية نود أنّ نشير إلى أنّ معنى أهل الكتاب في اللغة والاصطلاح جاء مشتركاً من حيث المعنى وإن اختلفت الألفاظ في بيان المقصود منهم.

وقد استفاد علماء اللغة والتفسير من النصوص القرآنية والحديثية في تعريف أهل الكتاب، ويتفقون جميعاً على أنّ أهل الكتاب هم اليهود والنصارى[1] وبعضهم ألحق بهم المجوس باعتبارهم ذكروا في القرآن مع سائر أرباب النحل السماوية[2].

وعليه سوف نتعرض لذكر أهل الكتاب ونقتصر على الديانتين السماويتين في شبه الجزيرة العربية:

١ ـ اليهود

كان اليهود يقطنون في الشام وبابل[3]، وهاجروا إلى أصقاع متعددة نحو الغرب في مدينة القدس، وباتجاه شبه الجزيرة العربية حيث سكنوا في المدينة ومكة وخيبر وفدك ووادي القرى.

---

(١) التمهيد: ج ١٢ ص ٥٠١ ؛ والدروس: ج ٢ ص ٣١ ؛ مجمع البحرين: ج ٤ ص٦ .
(٢) الدروس: ج ٢ ص ٣١ ؛ و الميزان في تفسير القرآن: ج ٩ ص ٢٣٧.
(٣) سيره نبوي (منطق عملي): ج ١ ص ١٧٣.

وبعد أن ألقوا عصى التسيار أقاموا قراهم بين الحصون المنيعة والقلاع العالية لتأكيد خصوصيتهم حيث كان لهم أعرافهم وطقوسهم الدينية وأفكارهم المباينة لغيرهم، وبمرور الزمان أصبح لهم دور فى الحياة الاجتماعية، والأعمال التجارية التى كانت قائمة آنذاك فى شبه الجزيرة العربية.

وتعرضت كتب السيرة والتاريخ إلى ذكر القبائل اليهودية ومنها: بنى قريظة، وبنى النضير، وبنى قينقاع، وينقل ابن قتيبة: أنّ اليهودية كانت فى حمير وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكنده[1] . وقد انتشرت اليهودية فى أوساط بعض القبائل نتيجة احتكاكها ومعاشرتها لليهود، حيث نقل اليعقوبى ذلك بقوله: وتهود قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم يهود خيبر وبنى قريظة، وتهود قوم من بنى الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام[2] .

وقد عرف عن اليهود مزاولتهم الأعمال الزراعية، كما أنهم يقومون ببعض المهن كصناعة الأسلحة الحديدية[3] .

وعليه فاليهود يمثلون إحدى الديانات التى لها حضور فى الجزيرة العربية.

---

(١) المعارف: ص ٦٢١.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ١ ص ٢٥٧.
(٣) فجر الإسلام: ص ٢٤.

٢ ـ النصارى

كان للنصرانية نفوذ كبير فى بلاد الشام وبلاد اليمن؛ ويظن أنّ انتشارها فى اليمن بدأ منذ القرن الرابع الميلادى، ولا نصل إلى العصر الجاهلى حتى نرى النصرانية منتشرة فى نجران وغيرها[١]. وكانت دولة الروم تعمل على نشر الدين المسيحى فى أنحاء الجزيرة العربية عن طريق دولة الغسانيين التى أسسوها فى الشام[٢]. وتنصر فى مكة قوم قبل الإسلام منهم عتبة بن أبى لهب، وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل[٣] وتعهد بعض الأفراد أن ينشر المسيحية فى أوساط المكيين، فقد إنطلق عثمان بن حويرث بن أسد حتى قدم ابن جفنة ملك الشام من قبل الروم وعرض عليه استعداده لتحويل قريش إلى النصرانية بشرط أن يكون هو الحاكم عليهم وقوبل اقتراحه بالقبول وكتب له كتاباً، فيه حكماً بتعيينه حاكماً على قريش[٤].

ويرى الآلوسى أن المسيحية انتشرت بين بعض القبائل العربية مثل ربيعة وغسان وبنى تغلب لأن الروم كانوا فى تماس دائم مع

---

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي: ج ١ ص ١٢٧.
(٢) انظر: فجر الإسلام: ص ٢٧.
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١ ص ١٢٩.
(٤) انظر: المنمق في أخبار قريش: ص ١٥٤.

العرب من خلال المبادلات التجارية التى تجرى بين الطرفين[1] وعلى آية حال فإن الديانة المسيحية كان لها حضور فى شبه الجزيرة العربية غير أنها أقل شأناً من الحضور الذى لليهود.

~ ~ ~

(١) بلوغ الإرب في معرفة العرب: ج ٢ ص ٢٤١.

النبى صلى الله عليه و آله يبلّغ رسالته لأهل الكتاب

المسلمون يهاجرون إلى بلاد أهل الكتاب

ضاقت على المسلمين مكة بشعابها وفيافيها فهاجروا إلى الحبشة، فقد جاء المسلمون إلى الرسول وقالوا: أين نذهب يا رسول الله قال هاهنا وأشار إلى الحبشة فخرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وكان مخرجهم فى رجب فى السنة الخامسة من البعثة[1] أن تهديد المشركين المستمر للمسلمين وامتهان كرامتهم واستضعافهم أدى إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة لتكون الموطن الأوّل الذى يأوى إليه المسلمون.

إنّ نظرة النبى الأكرم الإيجابية نحو أهل الكتاب ومعرفته بملك الحبشة النصرانى وما شاع عنه من العدل > لا يظلم عنده أحد < [2]. من الأسباب الوجيهة التى دعت النبى الأكرم لاختيار الحبشة داراً للهجرة. وبعبارة أُخرى أنّ النصارى ليس لديهم عداء لأهل الديانات السماوية على عكس قريش ولهذا انتخبها الرسول للمسلمين لتكون بلداً آمناً لهم.

ولما علمت قريش وعتاتها بمحط رحال المسلمين فى أرض الحبشة أرسلت فى أثرهم مبعوثيها عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٠٤.
(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق: ص ١٩٣.

بن العاص الذى كان على علاقة وطيدة بملك الحبشة، وأرسلت معهما تحفها النادرة، لاستمالة ملك الحبشة إليهم، وتأليبه ضد المسلمين المهاجرين، وإعادتهم إلى قريش[1].

وكان موقف النجاشى مما تطلّعت إليه قريش موقفاً دينياً، إذ آثر التوحيد على هدايا قريش وعلاقاته بعمرو بن العاص.

إنّ الحوار الذى جرى بين موفدى قريش وبين المسلمين بزعامة جعفر بن أبى طالب ـ وتحت نظر ومسائلة ملك الحبشة النجاشى ـ انتهى بإعلان النجاشى عن وجود قرابة دينية بين الإسلام والمسيحية[2]

إنّ الإسلام الذى هاجر من أجله المسلمون يحمل أسمى المعانى الإنسانية وأرقى التعاليم الأخلاقية، وله صلة وثيقة بالأديان السماوية السابقة، وقد أوضح ذلك جعفر بن أبى طالب للملك النجاشى عندما كادهم عمرو عنده، فقال جعفر: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق: ص ١٩٣.
(٢) انظر: إعلام الورى بأعلام الهدى: ص ١١٥.

نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا: أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام... وقرأ عليه جعفر بن أبى طالب بعض سورة الكهف فبكى النجاشى حتى أخضلت لحيته، وكذلك أساقفته، ثم قال النجاشى: إنّ هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إنطلقا، فو الله لا أُسلمهم إليكما ولا يكادون. ثم غدا عمرو فى اليوم التالى ليخبر النجاشى، بأن المسلمين يقولون إنّ عيسى بن مريم عبد فأرسل إليهم فسألهم فقال له جعفر: نقول فيه الذى جاء به نبينا صلى الله عليه و آله هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته التى ألقاها إلى مريم العذراء، البتول، فتناول النجاشى عوداً، وقال والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا. فتناخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم إذهبوا فأنتم شيوم: أى آمنون، من سبكم غرم ـ قالها ثلاثاً ـ ما أحب أن لى دبرا ـ أى جبلاً ـ من ذهب وأنى آذيت رجلاً منكم. ثم رد هدايا قريش[1].

لقد شهد أهل الكتاب بحقيقة النور الذى خرج من مكة

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم @: ج ٣ ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

وتأثروا وبكوا وأعلنوا أنّ بلاد أهل الكتاب هى بلاد المسلمين وهم فيها آمنون، ومنح المسلمون حريتهم الدينية كما أنّ المسلمين لم يستغلوا تلك الحرية إستغلالاً سيئاً، بل كانت مبادئ الرحمة والتسامح واحترام دين الآخرين من المفاهيم التى تربّوا عليها وعملوا بها.

~ ~ ~

النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يكاتب ساسة أهل الكتاب

كانت الرسالة الإلهية التى بعث بها النبى صلى الله عليه و آله تتسم بالشمولية: } وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ{[1]، }وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ{[2]، وخاطب القرآن الناس عموماً: }يَا أَيُّهَا النَّاسُ{ واستخدم لطيف العبارات فى تذكير الإنسان بما فطر عليه: }يَا أَيُّهَا الإنسان{ .

إنّ النداء السماوى قد سرى بسرعة بين الناس على اختلاف ألسنتهم وصورهم وطبقاتهم، ففى أواخر السنة السادسة من الهجرة، وبعد صلح الحديبية[3] أخذ نور الرسالة الإسلامية ينطلق إلى خارج حدود الجزيرة العربية حيث أنفذ النبى صلى الله عليه و آله عدداً من المبعوثين يحملون معهم رسائل منه إلى الملوك والأُمراء وزعماء القبائل آنذاك.

ومن الإشارات المهمة عن تلك الرسائل أنها استخدمت لغة الكلمة الرصينة فى إبلاغ ما جاء به النبى من الهدى، كما أنّ الرسول الأعظم هو أوّل من بادر فى مكاتبتهم وتبجيلهم بلغة

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.
(٣) انظر: الإصابة: ج ٦ ص ٢٩٦.

الاحترام فيقول: > كسرى عظيم الفرس < و> هرقل عظيم الروم < و> المقوقس عظيم القبط < .

فقد بعث رسول الله صلى الله عليه و آله دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم فوصل إلى بصرى وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل وكان يرى فى ملاحمهم أنّ ملك الختان قد ظهر[1] فقرأ الكتاب وإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من أتبع الهدى (أما بعد) فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين و } قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {[2]).

إنّ هذه الرسالة تؤكد أن الإسلام يمد يد السلام والتعاون إلى ملك الروم فى سبيل أن ينال الأجر ضعفين من الله > المؤمن السلام <، وأن لا يكون سبباً فى تحمل أوزار القوم بصدهم عن الصراط، فالرسول الأكرم يتحدث بلغة الاطمئنان والوثوق فى دعوة الملوك والناس إلى الله تعالى عبر التسليم بالإسلام، وقد ركّز

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٦ .
(٢) المحلى: ج ١ ص ٨٣.

الرسول الأعظم على نقاط الالتقاء بين الإسلام والديانة المسيحية وهى عبادة الله تعالى، وتوحيده، وترك ربوبية الناس على بعضهم بعضاً. إنّ الآية تحث على إيجاد أرضية مشتركة مع الأديان السماوية جميعاً، ونبذ اللغة التى تبحث عن الخلاف والعداء.

وبعث النبى صلى الله عليه و آله حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس فلما انتهى إلى الإسكندرية وجده فى مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بالكتاب بين إصبعيه فلما رآه أمر به فأوصل إليه فلما قرأه قال:> ما منعه إن كان نبياً يدعو علىً فيسلط علىّ فقال له حاطب ما منع عيسى أن يدعو على من أراده بالسوء قال فوجم لها ثم قال له أعد فأعاد ثم قال له حاطب إنه كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله منه فاعتبر به وإنّ لک ديناً لن تدعه إلى دين هو خير منه وهو الإسلام، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارته بمحمد ولسنا ننهاک عن دين عيسى بل نأمرک به فقرأ الكتاب فإذا فيه من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى فذكر مثل الكتاب إلى هرقل فلما فرغ أخذه فجعله فى حقّ من عاج وختم عليه...<[1] فى هذا الكتاب تبجيل من النبى للمقوقس بقوله > عظيم القبط < فهذه العبارة تراعى شأنية المقوقس ومنزلته بين قومه.

---

(١) الإصابة: ج ٦ ص ٢٩٦.

إنّ النبى صلى الله عليه و آله فتح باب الدعوة إلى الإسلام وانتخب رجالاً يمتازون بالشجاعة والإطلاع على تعاليم الإسلام ويملكون لباقة وقدرة فى إيصال البلاغ الإلهى، لقد كان رد فعل المقوقس ينبئ عن وجود قناعة بتصديق الرسول ورسالته حيث أكرم وفادة حاطب وأجاب على الكتاب: > أمّا بعد فقد قرأت كتابک وذكر نحو ما ذكر لحاطب وزاد وقد أكرمت رسولک وأهديت إليک بغله لتركبها وبجاريتين لهما مكان فى القبط وبكسوة والسلام<[1].

إنّ منطق كتاب النبى الأعظم، وبلاغة حاطب تنمان عن حقيقة إنسانية يدعو إليها الإسلام وهى إيصال تعاليم الإسلام إلى الناس جميعاً من أجل أن يبلغوا الكمال الإنسانى والحياة الأفضل، ولهذا قطع حاطب مسافات بعيدة فى سبيل بلوغ هذا الهدف.

أمّا الرسالة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه و آله إلى النجاشى فهى مثل باقى الرسائل إلى الملوک تحمل الاحترام والتقدير للأديان الأُخرى، وتعطى الكلمة دوراً بارزاً فى الرسالة، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه و آله عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه وكتب معه

---

(١) المصدر السابق: ج ٦ ص ٢٩٧.

كتاباً: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر وإنى أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتّبع الهدى»[1].

إنّ هذه الرسالة تريد أن تؤكد الصلة بين الأنبياء والتى تتبعها العلاقة بين البشر وفيها دعوة للنجاشى وجنوده أن يدخلوا فى الكرامة الإلهية وهى الدين الحقّ من دون إكراه ولهم حقّ النصيحة فى ذلك.

جدير بالذكر أنّ تلك الرسائل قد حركت دواعى السؤال والاستفسار عند أُولئك الملوك والأُمراء فأخذ بعضهم يتحرى عن الحقيقة نظير هرقل والمقوقس وقيل إنّ الملك النجاشى قد أسلم

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٦ ـ ٣٧.

وجهه لله وآمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله[1]. كما أن مكاتيب الرسول تركت صدىً في تلك البلاد بوجود مبعوث إلهي ينذر ويبشر الناس باليوم الآخر.

الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله يحاور أهل الكتاب

وضح القرآن للمسلمين أدب الجدال بينهم وبين أهل الكتاب، ومن هذا الأدب أن يعلن المسلمون إيمانهم بأديان أهل الكتاب تقرباً منهم[2]، قال تعالى: } وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {[3].

الإسلام يدعو المسلمين لحمل هدف مقدس وهو الجدال الأحسن والذي يحمل معاني الهداية للآخرين بعيداً عن روح التخاصم، ويريد أن ينتهي الحوار مع الآخرين بالوفاق على أرضية واحدة } أمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم... { لقد دأب النبي صلى الله عليه و آله على استيعاب الآخرين ـ من مختلف الأديان ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان عندما يجادلهم يرسل إليهم

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٦ ـ ٣٨.
(٢) مقارنة الأديان، الإسلام، د. أحمد شلبي: ص ١٦٩.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

دلالات أخلاقية كبيرة، ففى السنة العاشرة من الهجرة أرسل النبى صلى الله عليه و آله كتاباً إلى أبى حارثة أسقف نجران ومن معه دعاهم فيه إلى الإسلام، وتداولوا الرأى والمشورة فى الأمر الذى دعاهم إليه الرسولصلى الله عليه و آله فانتهى رأيهم إلى مقابلة النبى صلى الله عليه و آله ومحاججته أو التفاوض معه، وانتدبوا لهذا ستين رجلاً من كبار أهالى نجران وعلمائهم. وعندما وصلوا إلى المدينة جرى حوار طويل ونقاش بينهم وبين الرسول الأكرم، ولم يسفر ذلك الحوار عن نتيجة مرضية للطرفين وعندما أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يقترح عليهم المباهلة[1] فقبلوا ذلك، على أن يكون فى يوم الرابع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ١٠هـ، وجاء الطرفان فى اليوم المعلوم، وأقبل النبيصلى الله عليه و آله مصطحباً معه أهل بيته وهم على وفاطمة والحسن والحسين #، وفى مشهد معنوى مؤثر جثا الرسول صلى الله عليه و آله ومن معه من أهل بيته استعداداً للمباهله، وانبهر الوفد وترددوا وأكبروا ما رأوا من جلال المشهد المقدس لتلك الأنوار وذكر الشيخ الطبرسى

---

(١) في معنى الابتهال قولان أحدهما: «إنّه بمعنى الالتعان... بهلة الله أي: لعنة الله. وعليه بهلة الله أي: لعنة الله. والأُخرى إنه بمعنى الدعاء بالهلاك... فالبهل كاللعن وهو المباعدة عن رحمة الله عتاباً على معصيته، ولذلك لا يجوز أن يلعن من ليس بعاصٍ من طفل أوبهيم أو نحوها». تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص٣٠٨.

أنّ رسول الله لما دعاهم: <إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلک، فلما رجعوا إلى رجالهم، قال لهم الأسقف: أنظروا محمداً فی غد، فإن غدا بولده وأهله، فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شیء، فلما كان الغد جاء النبی صلى الله عليه و آله آخذاً بيده على بن أبی طالب والحسن والحسين عليهم السلام بين يديه يمشيان، وفاطمة 9 تمشی خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبيصلى الله عليه و آله قد أقبل بمن معه سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمه، وزوج ابنته، وأحب الخلق إليه. وهذان ابنا بنته من على $ وهذه الجارية بنته فاطمة، أعز الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه. وتقدم رسول اللهصلى الله عليه و آله فجثا على ركبتيه. قال أبو حارثة الأسقف: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكع[1] ولم يقدم على المباهلة. فقال السيد: أدن يا أبا حارثة للمباهلة.فقال: إنی لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة، وأنا أخاف أن يكون صادقاً، ولئن كان صادقاً لم يحل والله علينا الحول، وفی الدنيا نصرانی يطعم الماء ! فقال الأسقف: يا أبا القاسم ! إنا لا نباهلک، ولكن نصالحک فصالحنا على ما ينهض به. فصالحهم رسول الله

---

(١) كع : ضعف.

صلى الله عليه و آله<[1].

وذكرت كثير من المصادر الحديثية والتفسيرية هذه الحادثة وذلک عند تفسير قوله تعالى:} فَمَنْ حَآجَّکَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءکُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءکُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْکَاذِبِينَ {[2] حيث ذكروا أنّ هذه الآية لما نزلت دعا رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الحوار من أجل الوصل إلى الحقيقة، وأبدى رغبة شديدة فى هدايتهم، كما أنّ الرسول صلى الله عليه و آله كان فى غاية الأدب مع نصارى نجران، فقد كاتبهم ثم حاورهم وبعدها ضرب أجلاً للمباهلة ثم جاء بأهل بيته يجللهم التواضع حيث > جثا الرسول كما جثا الأنبياء للمباهلة <.

نعم لقد كانت العبودية لله بادية على النبى وأهل بيته، وواجه أهل نجران دعوة النبى فى قبولهم للحوار والجدال، وعندما حلّ وقت المباهلة انصرفوا وفضلوا المصالحة فقد أخرج أبو نعيم فى > الدلائل < من طريق عطاء، والضحاک عن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه و آله منهم العاقب والسيد فأنزل الله تعالى } قُلْ تعالوا { الآية فقالوا:

---

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٠٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا إلى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه، وقالوا هو النبى الذى نجده فى التوراة فصالحوا النبى صلى الله عليه و آله[1].

~ ~ ~

(١) تفسير الآلوسي: ج ٣ ص ١٨٨.

تعاليم أُنزلت على الرسول صلى الله عليه و آله فى أهل الكتاب

نزلت على الرسول صلى الله عليه و آله سور وآيات عديدة فيها دروس وعبر عن الأُمم الماضية، وتناولت تاريخ الأنبياء والنقاط المحورية فى أدوارهم المختلفة، وفيما يلى نتعرض لذكر أهم تلك التعاليم الإلهية، وما صدر عن الرسول الأكرم بهذا الصدد:

١ ـ تعاليم عن الأنبياء

الرسالة الإسلامية شاملة لأبعاد التاريخ الإنسانى المختلفة، واحتل الكلام الإلهى عن الأنبياء موقعاً متقدماً حيث تم إيراد أسماء عددٍ من الأنبياء والمرسلين[1]، كما فى قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى

---

(١) في رواية: إنَ عدد أنبياء بني إسرائيل بلغ ألف نبي، وفي رواية أخرى: إنَ عدد أنبياء بني إسرائيل أربعة آلاف نبي، وكل هذه كانت مواهب ونعماً من الله سبحانه. أنظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٦ ص ٢٠٥ .

الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ{[1] إنّ هذه الآيات وغيرها تمنح الفرد المسلم ثقافة فى الإطلاع على الديانات الأُخرى بحيث يتعرف على بنى إسرائيل من خلال القرآن.

لقد أعطى القرآن صورة مقدسة عن أنبياء بنى إسرائيل، وبما أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله يعرف الخطاب القرآنى بكامل أبعاده، فقد تعرض لذكر الأنبياء وما جرى عليهم، وما كانوا فيه بحيث ربّى المسلمين على ثقافة توقير الأنبياء ودياناتهم. فكان النبى يقول: >أخى موسى < و > أخى عيسى < على اعتبار أنهم ينتسبون إلى ديانة سماوية واحدة يمثل النبى الأعظم آخر حلقاتها. فعندما يأتى النبى صلى الله عليه و آله على ذكر موسى $يقول: > رحم الله أخى موسى آجر نفسه بطعام بطنه وعفة فرجه<[2] ويذكره بكامل الاحترام، وينشر أخلاقه بين المسلمين، ويشير إلى رباط الأُخوة المقدس بين الأنبياء.

وكان النبى الكريم يمجد بالأنبياء ويعرض على الناس تجاربهم وأعمالهم فى التقرب إلى الله تعالى فقد كان يقول: >

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ٨٣ ـ ٨٨.
(٢) المغني: ج ٨ ص ١٩٢.

«أفضل الصوم صوم أخي داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يف إذا لاقى <[1] وعلّم النبيصلى الله عليه و آله أصحابه الوصايا الإلهية التي تلقاها عيسى من الله تعالى> يا أبا ذر إن الله تعالى أوحى إلى أخي عيسى $: يا عيسى، لا تحب الدنيا فإني لست أحبها، وأحب الآخرة فإنها دار المعاد...<[2]

وتحسن الإشارة إلى أن× النبي صلى الله عليه و آله في أثناء معراجه إلى السماء كان قد التقى بأنبياء الله وتحدث معهم ورأى منازلهم، ومن بينهم أنبياء بني إسرائيل، وبهذا الصدد روى البخاري: >الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد <[3].

والقرآن الكريم أتى على ذكر المعجزات والدلائل التي لأنبياء بني إسرائيل فقال عز وجل: } وآتيناهم بيّنات من الأمر {[4] ومن الممكن أن يكون في هذه الآية إشارة إلى المعجزات الواضحة التي أعطاها سبحانه موسى بن عمران وسائر أنبياء بني إسرائيل[5].

إنّ وجود قصص أنبياء بني إسرائيل في القرآن تمثل أصدق تمثيل للغة الألفة التي يقدّمها القرآن ويبينها النبيصلى الله عليه و آله

---

(١) سنن الترمذي: ج ٢ ص ١٣٤، ونيل الأوطار: ج ٤ ص ٣٤٣.
(٢) الأمالي: ص ٥٣١.
(٣) صحيح البخاري، ج٤ ص١٤٢.
(٤) سورة الجاثية: الآية ١٧.
(٥) تفسير الأمثل: ج ١٦ ص ٢٠٥.

عن الأنبياء باعتبارهم سفراء الوحى الإلهى.

وعليه فتلك التعاليم التى أنزلت على النبى الأمىّ هى فى واقع الأمر لاستلهام العبرة، واستخلاص التجربة التى خاضها الأنبياء من أجل صناعة الإنسان القدوة، وتنطوى تلك التعاليم على دعوة لأهل الكتاب فى أن يسمعوا وينصتوا للآيات الكريمة ويغترفوا من منبعها الصافى الثر.

٢ ـ تعاليم عن أقوام أهل الكتاب

تحدث القرآن عن وجود مجتمعات متوزعة فى أماكن وأزمنة مختلفة، وقد عاصروا الأنبياء الذين جاهدوا فى سبيل تخليصهم من نير الاستعباد، وضرب القرآن مثلاً لعصر النبى يوسف $، ففى عصره كان المجتمع مركب من طبقات متباينة الحال، حيث توجد طبقة حاكمة صاحبة امتيازات وصلاحيات واسعة، وفى مقابلها توجد طبقة دنيا فى المجتمع يمثلها عامة المصريين والعبيد، نظير الفتيان اللذان دخلا السجن مع يوسف {وَدَخلَ مَعَهُ السّجنَ فَتَيَان}[1]، أو يوسف $ الذى زج به فى غياهب السجون من دون محاكمة.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٦.

وكان لوجود النبى يوسف بينهم دور فى قلب المعادلة لصالح الطبقات الفقيرة، إلا أنّ الناس وعلى الرغم من الدلائل الواضحة التى أتى بها لازال الشكّ يتسرب إلى نفوسهم، وكانوا يعيشون معه ضمن إطار ضيق وهو الرئاسة الدنيوية عليهم قال تعالى:} وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ {[1].

إنّ هذه المعرفة الاجتماعية التى ضخها القرآن، تزرع فى نفوس المسلمين الوعى والإدراك فى النظر إلى الأوضاع الاجتماعية واتخاذ الموقف السليم منها.

وفى زمن النبى موسى $ عانى الناس الأمرّين من بطش فرعون وعلى مدى دهر متطاول، حيث فرض عليهم حياة الذل والخضوع فأورثهم مصيراً مؤلما: } يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ {[2] إلى أن أنقذهم الله بموسى $ من فرعون وجنوده. وحصل موسى$ على تأييد أولئك المضطهدين، فيما عارضه الملأ من قوم فرعون: }وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي

---

(١) سورة غافر: الآية ٣٤.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤١.

نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ {[1].

وكان التسديد الإلهى بارزاً فلم يكن لفرعون يد على أُولئك الذين تبعوا موسى $ فرغم التهديد والوعيد وما لا قوة من عذاب فإنّهم نصروا فى نهاية الأمر: } فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ {[2].

والمجتمع الإسرائيلى الذى عاصره موسى $ كان يميل إلى تغليب النظرة الحسية فى قضاياه الدينية: } وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً {[3] و } اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا {[4] و }ثم اتخذتم العجل... {[5] وهى نظرة ورثها المجتمع من الظروف السيئة التى تم تحميلها على الناس آنذاك، فقد أراد القيّمون على المجتمع أن يدور الناس فى جميع شؤونهم داخل الحلقة المغلقة لمصالح فرعون وفئته المتجبرة مما جعل المجتمع يعيش فى جهل مطبق.

وفى مقابل ذلك توجد ـ شريحة اجتماعية قليلة العدد لها ثقلها فى داخل المجتمع فهم يتفاعلون ويؤثرون فيه: } وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ وَقَدْ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٧.
(٢) سورة مؤمن: الآية ٤٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٥١.

جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ {[1] ، } وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ {[2]

إنّ هذه التعاليم وغيرها تعكس تنوع التاريخ الإنسانى وترابطه، والقرآن عند ما يعرض الفترات المختلفة، يريد أن يقول أن التاريخ هو لجميع الإنسانية، وليس لقوم دون قوم أو لزمن دون زمن كى ينظروا فيه ويعتبروا.

٣ ـ تعاليم عن الأوضاع السياسية

أشرنا فى معرض حديثنا عن المجتمع إلى وجود طبقة سياسية حاكمة متنفذة قد استحسنت تغييب باقى طبقات الناس، فقد سلك فرعون سياسة فردية لتكريس سلطته، بعيداً عن أىّ اعتبار لآراء الآخرين: } قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ {[3] وشط به التكبر إلى إدعاء الربوبية على الناس وفرض ذلك عليهم: } فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى {[4]، }

---

(١) سورة المؤمن: الآية: ٢٨.
(٢) سورة القصص: الآية ٨٠.
(٣) سورة المؤمن: الآية: ٢٩.
(٤) سورة النازعات: الآية: ٢٤.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى {[1].

إنّ التركيبة النفسية لفرعون قائمة على إلغاء الآخرين وعدم الاستماع إليهم وأكثر من ذلك تصفيتهم جسدياً } وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى {[2].

وقد ذهب الملأ من قوم فرعون إلى تأييده وعدم مخالفته: } فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ {[3] بل إنهم أصبحوا يسلكون نفس الطريقة التى يفكر بها الحاكم } قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {[4].

إنّ رؤية الأشياء من منظار الحاكم المتغطرس يؤدى إلى انعدام الرؤية الصحيحة للأشياء، وقد ردّ موسى مستنكراً الرؤية المقلوبة التى عليه قوم فرعون } قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ {[5]

وهكذا نلاحظ أنّ القرآن يقوم ـ بتزويد المسلمين من سيرة أنبياء بنى إسرائيل، وألقى فى سمعهم وبصائرهم أحسن القصص لينهلوا من معينها.

---

(١) سورة القصص: الآية: ٣٨.
(٢) سورة المؤمن: الآية ٢٦.
(٣) سورة هود: الآية: ٩٧.
(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٠٩.
(٥) سورة يونس: الآية: ٧٧.

وقد ظهر من خلال الآيات آنفة الذكر وجود طبقة سياسية قليلة العدد تسعى دائماً إلى اتخاذ قرارات فردية ضالة ظالمة على حساب رغبة غالبية الناس، مما أدى إلى إرتكاب أخطاء كثيرة وكبيرة زجت بالناس فى نفق التيه: } وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى {[1]

إنّ الإسلام يمجد الدور التغييرى لموسى$، وينبذ سياسة القوة والقهر التى إتكأ عليها فرعون ومعاونيه، ويدعوا القرآن المسلمين إلى الأخذ من عملية التغيير التى خاضها موسى $.

~ ~ ~

(١) سورة طه: الآية: ٧٩.

نماذج أخلاقية للرسول صلى الله عليه و آله فى أهل الكتاب

سجل الرسول الأعظم على جبين التاريخ معانى سامية، لا تقاس بشىء لأنها تتقدم على غيرها وهى مُثل عليا تغترف منها الإنسانية، ولذا وصف بما جاء به للناس } رحمة للعالمين{، حيث عكس الوجه الحقيقى للقيم السماوية فهو المعلم الأوّل، المربى الأكبر للإنسانية، وقد قدّم نماذج يعشو إلى ضوئها المؤمنون، ومنها ما بسطه من كريم أخلاقه فى أهل الكتاب، وكانت كما يلى:

النموذج الأوّل: التواصل الاجتماعى

كان الرسول صلى الله عليه و آله، يدأب ليله ونهاره فى الالتقاء بالناس والنظر فى شؤونهم وتعليمهم أُمورهم الحياتية والدينية، وكان يدعو الناس إلى انتهاز الفرصة فى الأخذ من حظهم لآخرتهم فى كل لحظة أو حالة ترد عليهم، ومما حث المسلمين عليه هو عيادة المريض أياً كانت هويته فقال صلى الله عليه و آله: > أيما رجل عاد مريضاً فإنما يخوض فى الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة <[1] فلم يقل الرسول صلى الله عليه و آله >

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ج ١٢ ص ١١٤.

عاد مريضاً مسلماً < وإنّما هو إنسان > مريض < بغض النظر عن دينه وعرقه وعشيرته. وروى البيهقى عن أنس قال: > كان رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ إذا عاد رجلاً على غير الإسلام جلس عنده، وقال: كيف أنت يا يهودى، كيف أنت يا نصرانى بدينه الذى هو عليه<[1]

لقد كان من سيرته أن يتفقد الناس ويسأل عنهم، فقد روى > إنّ غلاماً من اليهود كان مريضاً، فأتاه النبى صلى الله عليه و آله يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال [له أبوه]: أطع أبا القاسم، فأسلم...<[2].

ويظهر من الروايات أنّ النبى صلى الله عليه و آله قد بث هذه الأخلاق الاجتماعية بين الناس من أجل توثيق الصلة بين الناس، وبعيداً عن الفواصل النفسية التى قد تعترى حياة الإنسان.

النموذج الثانى: الكرامة الإنسانية

كان الرسول الأعظمصلى الله عليه و آله قد دعا الناس عموماً إلى الإسلام ولم يستثنِ أحداً من دعوته، وأسلم له العربى وغير العربى نظير صهيب الرومى، وسلمان الفارسى، وبلال الحبشى،

---

(١) سبل الهدي والرشاد: ج ٢ ص ١١٤.
(٢) سنن أبي داود: ج ٢ ص ٥٧ .

وأضحى الناس سواسية فى العبودية لله وفى التكاليف الإلهية، وتغيرت المعايير المجحفة إلى معايير إنسانية يتقدم فيها الإنسان كلما كان تقياً: } يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ {[1].

والإسلام يكرّم الإنسان بغض النظر عن لونه ولغته ودينه، ويحترم وجوده وما يتميز به من مزايا فى خلقه > **الناس صنفان أما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق**<[2] لقد وهب الله تعالى للإنسان طيبات كثيرة، واسبغ عليه من فضله ما يشاء تكريماً له: } وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً {[3].

فللإنسان الكرامة والتقدير والتفضيل على كثير من المخلوقات أوّلاً لا على أساس خياره العقائدى؛ بل على أساس أنه إنسان ونظير للإنسان فى الخلق، فقد روى البخارى:> إنّ النبى صلى الله عليه و آله**مرت به جنازة فقام فقيل له إنها جنازة يهودى فقال أليست نفساً** <[4]، فالرسول الأعظم ينظر إلى أنّه إنسان وعليهم أن يقوموا تكريماً له وكان الرسول صلى الله عليه و آله قد علّم المسلمين أن يقوموا عندما يرون أى جنازة كما فى الرواية عن جابر بن عبد الله

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، محمد عبده: الكتاب ٥٣.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٠.
(٤) صحيح البخاري: ج ٢ ص ٨٧.

عن النبى قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا[1] إنّ الرسول الأعظم يعلّم الناس تجاوز الأُطر الضيقة والانتساب إلى عالمية الإسلام الذى يخاطب جميع الناس، ويطمح أن يعيشوا سوياً بسلام واحترام.

والدين الإسلامى يريد أن يقيم علاقات إنسانية عادلة بعيدة عن العداء، والبغضاء: } إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالإِحْسَـانِ {[2] فلم يحدد العدل والإحسان ويحصره فيما بين المسلمين، وإنما أطلق الأمر بالعدل والإحسان ليشمل غير المسلمين بل حتى مع الأشياء من حولهم، ومن رحمة الله تعالى على عباده أن يأمرهم بامتطاء مركب العدل فى الارتباط بخلق الله تعالى، وبعيداً عن التأثيرات والانفعالات النفسية: } وَلاَ يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَـوْمٍ عَلَـى أَلاَّ تَعْـدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى { [3]وروى الطبرسى نزول آيات قرآنية تدافع عن رجل يهودى اسمه زيد بن السهين قد اتهم ظلما من أحد المسلمين ويدعى أبو طعمة وينتسب إلى قبيلة بنى أبيرق، وكاد النبى يصدقهم عند ما جاءوا ليتهموا اليهودى، فنزل القرآن يبرئ ساحة اليهودى: } إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ لاَ

---

(١) انظر: صحيح البخاري: ج ٢ ص ٨٧.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٣) سورة المائدة: الآية ٨.

يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا }[1] <[2].

أما صفة الإحسان التى أمر الله بها فقد تحلى بها النبى صلى الله عليه و آله حتى نعت بها من قبل المسلمين وغيرهم وقد روى أنّ من صفات النبيصلى الله عليه و آله>يجزى بالسيئة الحسنة ولا يكافئ بالسيئة <، وقد أسلم أحد أحبار اليهود عند ما رأى إحسان النبى وصفاته المذكورة فى التوراة[3].

وروى حبة أنّ علياً $ لما نزل على الرقة، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب من صومعته، فقال لعلى $: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. الذى قضى فيما قضى، وسطر فيما كتب: أنه باعث فى الأُميين رسولاً منهم، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله لافظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح ـ إلى أن قال ـ فمن أدراك ذلك النبى من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى وجنتى <[4].

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧.
(٢) انظر تفسير جوامع الجامع ج ١ ص ٤٣٨؛ تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ١٨٤.
(٣) انظر: تخريج الأحاديث والآثار: ج ٣ ص ٤٨؛ انظر: السيرة الحلبيه: ج١ص٣٤٧.
(٤) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

وقد أسلم ذلك الراهب وأُصيب فى صفين ووجد صريعاً فصلى عليه ودفنه الإمام على $ وقال هذا منا أهل البيت، واستغفر له مراراً[1].

ويتضح مما تقدم أنّ للإنسان كرامته وقيمته عند الله تعالى، وتعلو مكانته كلما انتخب أساساً عقائدياً سليماً وتقرب من الله تعالى.

النموذج الثالث: المودّة والسلّم

كان الرسول الأعظم يتحرك فى سبيل هداية الناس بدافع من رغبته فى نجاتهم، وما ذاك إلا لمحبته ومودته للناس جميعاً } حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {[2].

إنّ رهافة حس الرسول صلى الله عليه و آله هى التى تدعوه أن يتحسس آلامهم، ولذا يحرص على إنتشال الناس من العيش الضنک إلى رحاب رحمة الله.

ولقد كان الرفق قريناً له، فعند ما يرى إنساناً على غير الدين الذى إرتضاه الله تعالى يعرض عليه الإسلام بهدوء وروية ورفق، ولا يرى فى ذلک الإنسان عدواً له، بل يرى فيه إنسان له عليه

---

(١) انظر: المصدر السابق: ج ٣ ص ٢٠٦.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

حقّ البلاغ والنصيحة والهداية مهما بلغ بذلك الفرد الجفو عن رسول الله صلى الله عليه و آله. ففى الحديث أنّ اليهود عند ما قالوا لرسول الله السام عليكم قالت عائشة: السام عليكم يا إخوة القردة والخنازير، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله: يا عائشة إنّ الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إنّ الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه، ولم يرفع عنه قط إلا شانه[1].

وقد طلب الرسول صلى الله عليه و آلهمن المسلمين أن يفشوا السلام، فقال: > لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام <[2] إنّ هذا الحديث يعبر عن روح السلم والموادعة عند الرسول صلى الله عليه و آله، لأنّ الإيمان ينعقد فى القلب فيما إذا اقترن بالمحبة لبنى البشر وقد ربّى الرسول أتباعه من المسلمين على ذلك وعملوا به، فقد>أخرج الطبرانى عن أبى أُمامة الباهلى أنه كان يسلّم على كل من لقيه. قال: فما علمت أحداً سبقه بالسلام، إلا يهودياً مرة اختبأ له خلف اسطوانة، فخرج فسلّم عليه. فقال له أبو أُمامة: ويحک يا يهودى ما حملک على ما صنعت؟ قال له: رأيتک رجلاً تكثر السلام، فعلمت أنه فضل، فأحببت أن آخذ منه.

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٦٤٨.
(٢) صحيح مسلم : ج١ ص٥٣.

فقال أبو أُمامة: ويحک إنی سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله يقول:> إن الله جعل السلام تحية لأمتنا، وأماناً لأهل ذمّتنا <[1].

~ ~ ~

(١) المعجم الكبير: ج ٨ ص ١٠٩.

حقوق أهل الكتاب فى دولة الرسول صلى الله عليه و آله

وضع الرسول الأعظم لائحة تضم مختلف الحقوق لتنظيم شؤون المجتمع على اختلاف هوياتهم، ويعيش الأفراد ضمن أُطر إنسانية عادلة، لأنهم ينحدرون فى جذورهم إلى:> كلكم لآدم وآدم من تراب<[1]. وفيما يلى بعض تلك الحقوق:

١ ـ الحقوق الحياتية

الإسلام دافع بقوة عن حقوق الآخرين فى العيش بأمن ورفاهية وليس لأحد أن يتعدى عليهم فقد قال النبى صلى الله عليه و آله:> من آذى ذمياً فقد آذانى <[2].

هذا الحديث يشير إلى مدى دفاع الرسول الكريم عن غير المسلمين وأيضاً قال صلى الله عليه و آله: > ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة <[3]. هذه التعاليم تعطى حصانة حياتية لأهل الكتاب فى مقابل الظلم الذى قد يصدر من بعض الأشخاص. ولذا فأهل الكتاب تصان حياتهم وكرامتهم ما داموا بين المسلمين بل يدافع عنهم عندما يتعرضون للخطر> وإنه من تبعنا من يهود فإن له

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٢٨.
(٢) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٢.
(٣) السنن الكبرى: ج ٩ ص ٢٠٥.

النصر والأُسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم<[1].

فأهل الكتاب يعتبرون جزء من الأُمة الإسلامية، ويعيشون ضمن ظروفها كأمة> إنّهم أُمة واحدة من دون الناس... وإنّ يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين<[2]

هذه الحدود والمواد فى التعامل مع أهل الكتاب عرّفت الناس أنّهم يملكون حقوق حياتية مشروعة فى تكوين روابط اجتماعية سليمة من التنافر والتخاصم، وفى الحديث عن أُسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه و آله مرّ بمجلس فيه أخلاط من اليهود والمسلمين فسلّم عليهم[3]. ففيه إشارة واضحة إلى طبيعة الوشائج الاجتماعية بحيث أنهم يعيشون جنباً إلى جنب فى روابط إنسانية طيبة.

٢ ـ الحقوق الدينية

إقرار الحقوق الدينية داخل المجتمع هى من القضايا التى أكد عليها الإسلام، فلكى ينعم المجتمع بالحرية لا بد فيه من تفهم لحقوق الآخرين الدينية وعند ما قدم الرسول المدينة وادع اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم: > لليهود دينهم وللمسلمين دينهم...

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ٢ ص ٣٤٩.
(٢) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٤٨ و ٣٥٠.
(٣) صحيح البخاري: ج ٧ ص ١٣٢.

وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم <[1].

والجدير بالذكر أنّ الحروب الواقعة فى الإسلام إنّما كانت لدفع المستكبرين، وتوطئة الظروف لإيمان المستضعفين. وقد كان أُولئک المستكبرين ـ فى عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ـ يلقون الفتنة بين أهله، وبؤذون المؤمنين؛ حتى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أخذ يدعو ويسأل الله تعالى أن يكفّ بأسهم عنه؛ ليكفّ عنهم: > اللهم أكفناهم واكفف بأسهم عنا<[2]

إنّ قضية الاعتقاد أو التسليم بالدين تأتى عبر توفير القناعة للآخرين من خلال عرض الأدلة والبراهين، كما أن تلک البراهين والحجج تُعرض على الآخرين ببلاغ حكيم مع ترک الحرية كاملة لهم فى الاختيار، لأنّ الأساس هو إيصال البلاغ الإلهى لهم كاملاً، وليس أن تفرض عليهم تلک البراهين } وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْکَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ {[3]

لقد جاء الإسلام بقيم خالدة تعالج مختلف الظروف التى تصادف الإنسان فى معترک الحياة، ورغم تعدد السبل التى ينتهجها

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ج ٢ ص ٣٤٨.
(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج٢ ص٥٤.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

ويتخذها الإنسان غير أن سبيل السلامة والكمال والسبق فى سلّم الخيرات ينحصر فى الإسلام مع الاعتراف بوجود مناهج دينية أُخرى لكنها قاصرة ومحدودة لأسباب عديدة: }لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ{[1].

ولذا فالإسلام يقبل بوجود الأديان الأُخرى، ويعترف بها كأمر واقع، وفى مقدمتها الديانتين المسيحية واليهودية إذ بعد تبليغها الإسلام، وعدم قبولها به تؤجل قضية الفصل والاختلاف فى أحقية بعضها على بعض كما فى قوله تعالى:} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{[2] .

ولم يكتف الإسلام بالاعتراف بأهل الكتاب؛ بل أشاد بالدفاع عن حرمة أماكن العبادة الخاصة بهم، والحفاظ عليها فى مقابل التعدى من الناس } وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ{[3].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٢) سورة الحج: الآية ١٧.
(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.

وقد ورد فى السيرة النبويّة أنّ المسلمين بعد أن فتحوا حصون خيبر وجدوا فى أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاء اليهود يطلبونها وعندئذٍ أمر النبى صلى الله عليه و آله بدفعها إليهم[1].

وبهذا الصدد يعلق المؤرخ اليهودى إسرائيل ولفنسون فى كتابه **تاريخ اليهود فى بلاد العرب**، ويقول: > هناك أمر يستوقف النظر وهو أنه كان بين الغنائم التى غنمها المسلمون فى غزوة خيبر ـ بعد تأليب أهلها ضد المسلمين ـ صحائف متعددة من التوراة، فلما جاء اليهود يطلبونها أمر النبى بتسليمها لهم، ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف فى نفس الرسول من المكانة العالية، مما جعل اليهود يشيرون إلى النبى بالبنان حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة...<[2].

وممّا تقدم يظهر أنّ الإسلام يعترف بالحقوق الدينية لأهل الكتاب، ويوفر لهم مكانة فى جسم الأُمة الإسلامية لتأمين حقوقهم.

٣ ـ الحقوق الخدماتية

---

(١) انظر: السيرة الحلبية، ابن هشام: ج ٢ ص ٧٤٥.

(٢) مجلة المنار: العدد ٦٩ في ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ.

كان المجتمع فى المدينة مركب من قبائل وديانات مختلفة وقد وضع الرسول صلى الله عليه و آلهعند مجيئه إليها ميثاقاً ينظم شؤون الحياة فيها ـ باعتبارهم يعيشون ضمن جغرافية واحدة وتجمعهم فيها قواسم مشتركة ـ وقد أعطى الرسول الأعظم مفهوماً للدولة التى تضم فئات مختلفة لهم حقوق متبادلة > إنّهم أُمة واحدة من دون الناس <[1] حيث يقدّم بعضهم لبعض خدمات مختلفة سواء فى تحقيق التعاون الاجتماعى، أو التكافل فيما بين القبائل والمسلمين > وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل. قال ابن هشام: المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال. قال الشاعر:

إذ أنت لم تبـــــرح تؤدى أمانة

وتحمل أُخرى أفرحتک الودائع<(٢)

فالمؤمنون لا يتركون مثقلاً يعيش بين ظهرانيهم مهما كانت هويته إلا وأعطوه بالمعروف، لأنّهم يعيشون فى أُمة واحدة وجاء فى عهد الموادعة أيضاً > وإنّ اليهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة <[3] والقرآن لا ينهى المسلمين عن مطلق البر والعدل مع المخالفين فى

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٨.
(٢) انظر: المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٤٩
(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٩.

الدين إذا لم يقاتلوا المسلمين: } لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {[1]

إنّ الآية الكريمة صريحة فى فتح باب التعامل مع غير السلمين وفقاً للمعايير الإنسانية والأخلاقية فى العدل والإحسان إليهم فى قضايا كثيرة ومنها الخدمية وذلك لأنهم يعيشون ضمن إطار دولة الرسول الأعظم فى المدينة وعليه فهم ينعمون بالخدمات التى تقدمها للناس عموماً.

~ ~ ~

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

الخاتمة

كان أهل الكتاب > اليهود والنصارى< لهم حضور فاعل فى شبه الجزيرة العربية وخصوصاً اليهود، حيث كانوا يزاولون أعمالاً حرفية كثيرة كصناعة الأسلحة، والأعمال الزراعية، وكانت لهم ارتباطات لا بأس بها مع القبائل الأُخرى أما النصرانية فقد انتشرت فى بعض قبائل الجزيرة مثل نجران وبنى الحارث وغيرها وساعد على ذلک حملات التبشير التى تدعمها دولة الروم آنذاک.

وقد قام الرسول صلى الله عليه و آله بتبليغ رسالة الإسلام فى أهل الكتاب ضمن مناسبات عديدة حيث وصل البلاغ الإلهى إلى الحبشة بواسطة هجرة المسلمين فعرضوا ما عندهم من تعاليم عند محاججة وفد قريش بزعامة عمرو بن العاص، وقد لاحظ الملک النجاشى أن الحقّ مع المسلمين وشهد ملک الحبشة بوجود قرابة دينية بين الديانة المسيحية والإسلام حيث قال النجاشى: «إنّ هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة<.

وعمل الرسول صلى الله عليه و آله على إيصال دعوة الإسلام عن طريق مكاتبة الملوک والرؤساء من أهل الكتاب وغيرهم

مستخدماً لغة الكلمة فى احترامهم وتبجيلهم بـ > هرقل عظيم الروم< و >المقوقس عظيم القبط< وكان قد ذيل كتبه بالآية الكريمة } قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...{ فى خطوة منه لإيجاد أرضية مشتركة معهم إن لم يدينوا بالإسلام، وقد تركت مكاتيب الرسول صدىً واسعاً فى تلك البلدان بوجود مبعوث إلهى ينذر ويبشر الناس باليوم الآخر.

واستخدم النبى أُسلوب الحوار والجدال من أجل إيصال الحقيقة بعيداً عن روح التخاصم كما فى مباهلة أهالى نجران الذى انتهى إلى المصالحة بعد أن رأوا سيماء النبوة فيه.

أما التعاليم التى أُنزلت على الرسول صلى الله عليه و آله فى أهل الكتاب فقد أعطت صورة مقدسة عن أنبياء بنى إسرائيل، كما عرضت الآيات القرآنية التجربة القيّمة التى خاضها الأنبياء وأتباعهم المؤمنون، وقد احتل الحديث عن بنى إسرائيل مساحات كبيرة فى ثقافة المسلمين، وكان النبى صلى الله عليه و آله قد ربّى المسلمين على ثقافة توقير الأنبياء فكان يقول > أخى موسى < و > أخى عيسى < على اعتبار أنهم ينتسبون إلى ديانات سماوية يمثل النبى الأعظم آخر حلقاتها.

وكان للرسول صلى الله عليه و آله نماذج أخلاقية قد بثها فى

أهل الكتاب كتواصله الاجتماعى حيث تربطه ببعض اليهود علاقات طيبة حتى أنه كان يعود مرضاهم ويسأل عن أحوالهم ويتفقد غائبهم، وكان يحترم الإنسان إكراماً لإنسانيته بغض النظر عن لونه ولغته ودينه ويقوم لجنازة الرجل اليهودى احتراماً لكونه نظير له فى الخلق.

وكان النبى صلى الله عليه و آله على ود وسلام مع الناس جميعاً حتى مع أعدائه فكان من سجيته الصفح والعفو فهو يريد توثيق الصلة بين الناس، بعيداً عن الفواصل النفسية التى تعترض حياة الإنسان حتى أنه طلب من المسلمين أن يفشوا السلام بين الناس على اختلاف نحلهم ومللهم.

واعتنى النبيصلى الله عليه و آله بحقوق أهل الكتاب المختلفة باعتبارهم من رعايا دولته التى أقامها فى المدينة، فقد أكد النبى الأكرم على حقوق أهل الكتاب الحياتية ومنحهم حصانة حياتية فى مقابل الظلم الذى قد يصدر من بعض الأشخاص حيث تصان حياتهم وكرامتهم ماداموا بين المسلمين بل يدافع عنهم عندما يتعرضون للخطر، ووادع الرسول اليهود وأقرّ لهم حقوقهم الدينية> لليهود دينهم وللمسلمين دينهم<.

ومن الحقوق التى حصل عليها أهل الكتاب فى دولة الرسول؛

الحقوق الخدماتية فى العدل والإحسان إليهم فـى مطلـق القضـايا والتى تشمل أُمورهم الخدمية، فهم كباقى الناس ينعمون بالخدمات التى تقدمها الدولة للناس عموماً.

وممّا تقدّم يظهر أنّ الرسول صـلى الله عليـه و آلـه قـد أقـام الركائز الحضارية والإنسانية فى التعامل مع أهل الكتاب باعتبارهم أصحاب ديانات سماوية، ولهم خصوصياتهم فى الحياة.

والحمدالله ربّ العالمين

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١ ـ **الإصابة**: ابن حجر أحمد بن على بن محمد العسقلانى المتوفى (٨٥٢ هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ـ ١٤١٥ هـ

٢ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى**: الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسى المتوفى (٥٤٨ هـ)، دار الكتب الإسلامية.

٣ ـ **الأمالى**: الشيخ محمد بن الحسن الطوسى، المتوفى (٤٦٠ هـ)، مؤسسة البعثة، قم، ط ١ ـ ١٤١٤ هـ

٤ ـ **الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل**: الشيخ ناصر مكارم الشيرازى (معاصر).

٥ ـ **بلوغ الإرب فى معرفة العرب**: محمود شكرى الآلوسى المتوفى (١٢٧٠ هـ)، مصر، سنة الطبع ١٣٤٢ هـ

٦ ـ **تاريخ ابن خلدون**: عبد الرحمن بن خلدون المتوفى (٨٠٨ هـ)، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، سنة الطبع ١٩٧١م.

٧ـ **تاريخ مدينة دمشق**، ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله

الشافعی ابن عساکر المتوفی (٥٧١هـ)، تحقیق علی شیری، تشر دار الفکر ـ بیروت.

٨ ـ **تاریخ الیعقوبی**: أحمد بن واضح بن یعقوب المتوفی (٢٨٤ هـ) ، دار صادر، بیروت.

٩ـ **تخریج الأحادیث والآثار**:الزیعلی المتوفی (٧٦٢ هـ)، تحقیق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزیمة، الریاض، ط ١ ـ ١٤١٤ هـ .

١٠ـ **تفسیر الآلوسی(روح المعانی فی تفسیر القرآن الکریم)**: محمود الآلوسی البغدادی المتوفی (١٢٧٠هـ).

١١ـ **تفسیر الکشاف**: محمود بن عمر الزمخشری المتوفی (٥٣٨ هـ)، دار الکتاب العربی، بیروت .

١٢ـ **تفسیر المیزان(المیزان فی تفسیر القرآن)**: السید الطباطبائی المتوفی (١٤٠٢ هـ)، جماعة المدرسین فی الحوزة العلمیة، قم، سنة الطبع ١٤١٢ هـ

١٣ـ **تفسیر جوامع الجامع**: الشیخ أبو الفضل بن الحسن المتوفی (٥٤٨ هـ) الطبرسی، مؤسسة النشر الإسلامی، قم ط ١ ـ ١٤١٨ هـ

١٤ ـ **تفسیر مجمع البیان**: الشیخ أبوالفضل بن الحس الطبرسی المتوفی (٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت، ط ١ ـ

١٤١٥ هـ

١٥ ـ **التمهيد**: ابن عبد البر المتوفى (٤٦٣ هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوى، ومحمد عبد الكبير البكرى، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

١٦ ـ **الدروس الشرعية**: الشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكى العاملى المتوفى (٧٨٦ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامى، قم ط ١ ـ ١٤١٤هـ

١٧ ـ **سبل الهدى والرشاد**: محمد بن يوسف الصالحى الشامى، المتوفى (٩٤٢ هـ) تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ـ ١٤١٤هـ

١٨ ـ **سنن أبى داود**: ابن الأشعث السجستانى المتوفى (٧٥٢هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر، بيروت، ط ١ ـ ١٤١٠هـ

١٩ ـ **سنن الترمذى (الجامع الصحيح)**: محمد بن عيسى بن سورة الترمذى المتوفى (٢٧٩ هـ) ، تحقيق عبد الرّحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط ٢ ـ ١٤٠٣ هـ

٢٠ ـ **السنن الكبرى**: أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، المتوفى (٤٥٨ هـ) ، دار الفكر، بيروت.

٢١ ـ **سيرة ابن إسحاق**: محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى (١٥١هـ)، تحقيق محمد حميد الله.

٢٢ ـ **السيرة الحلبية** : على بن برهان الدين الحلبى الشافعى ،

المتوفى (١٠٤٤ هـ) ، دار المعرفة، بيروت.
٢٣ ـ **السيرة النبوية**: عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى المتوفى (٢١٨ هـ)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة، سنة الطبع ١٩٦٣ م.
٢٤ ـ **سيره نبوى (منطق عملى)**: مصطفى دلشاد تهرانى (معاصر)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى، إيران ط ١ ـ ١٣٧٢ ش .
٢٥ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن أبى الحديد المعتزلى المتوفى (٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية.
٢٦ ـ **صحيح البخارى**: محمد بن إسماعيل البخارى، المتوفى (٢٥٦هـ) ، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع ١٤٠١ هـ
٢٧ـ **صحيح مسلم**: مسلم بن قشير النيشابورى، المتوفى (٢١٦هـ)، دار الفكر ـ بيروت.
٢٨ ـ **الصحيح من سيرة النبى الأعظم** صلى الله عليه و آله: السيد جعفر مرتضى العاملى (معاصر)، دار الهادى، بيروت، ط ٤ ـ ١٤١٥ هـ
٢٩ ـ **الصراط المستقيم**: على بن يونس العاملى المتوفى (٨٧٧ هـ)، تحقيق محمد باقر البهبودى، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
٣٠ ـ **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد بن منيع البصرى ، المتوفى (٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.

٣١ ـ **فجر الإسلام**: أحمد أمين ، المتوفى (١٣٧٣ هـ)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٣٢ ـ **الكافي**: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى (٣٢٩هـ)، تحقيق على أكبر غفارى، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤ ـ ١٣٦٥ ش.
٣٣ ـ **مجلة المنار**: محمد رشيد رضا المتوفى (١٣٥٤ هـ) العدد ٦٩ لسنة ١٤٢٤ هـ
٣٤ ـ **مجمع البحرين**: الشيخ فخر الدين الطريحى المتوفى (١٠٨٥ هـ)، مكتبة المرتضوى، طهران، ط ٢ ـ ١٣٦٥ ش.
٣٥ ـ **المحلى**: محمد بن على بن سعيد بن حزم المتوفى (٤٥٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت.
٣٦ ـ **مسند أحمد**: أحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت.
٣٧ ـ **المعارف**: محمد بن عبدالله بن مسلم ابن قتيبة المتوفى (٢٧٦ هـ)، تحقيق الدكتور ثورت عكاشه، دار المعارف، القاهرة.
٣٨ ـ **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى، المتوفى (٣٦٠ هـ) تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط ٢ ـ ١٤٠٥ هـ.
٣٩ ـ **المغنى**: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المتوفى (٦٢٠ هـ)، دار الكتاب العربى، بيروت.
٤٠ ـ **مقارنة الأديان، الإسلام**: الدكتور أحمد الشلبى (معاصر)،

مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٤ ـ ١٩٧٣ م.
٤١ ـ **المنمق فى أخبار قريش:** محمد بن حبيب البغدادى، المتوفى (٢٤٥ هـ) تحقيق خورشيد أحمد فاروق، حيدر آباد، سنة الطبع ١٣٨٣هـ ق.
٤٢ ـ **موسوعة التاريخ الإسلامى:** محمد هادى اليوسفى الغروى (معاصر)، مجمع الفكر الإسلامى ـ قم، ط ١ ـ ١٤١٧هـ
٤٣ ـ **نهج البلاغة:** الإمام على $، المستشهد سنة (٤٠ هـ) شرح محمد عبده المتوفى (١٣٥٣ هـ)، دار الذخائر ـ قم، ط ١ ـ ١٤١٢هـ
٤٤ ـ **نيل الأوطار:** محمد بن على بن محمد الشوكانى المتوفى (١٢٥٠ أو ١٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت.

فهرس الموضوعات

كلمة المجمع..... ٧

مقدمة المؤلف.....١١

أهل الكتاب فى شبه الجزيرة العربية..... ١٥

تمهيد..... ١٥

١ ـ اليهود ١٦

٢ ـ النصارى.....١٨

النبىّ صلى الله عليه و آله يبلغ رسالته لأهل الكتاب ٢١

المسلمون يهاجرون الى بلاد أهل الكتاب....٢١

النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يكاتب ساسة أهل الكتاب. ٢٥

الرسول الأعظم يحاور أهل الكتاب..... ٣٠

تعاليم أنزلت على الرسول صلى الله عليه و آله فى أهل الكتاب..... ٣٥

١ ـ تعاليم عن الأنبياء ٣٥

٢ ـ تعاليم عن أقوام أهل الكتاب ٣٨

٣ ـ تعاليم عن الأوضاع السياسية ٤٢

نماذج أخلاقية للرسول صلى الله عليه و آله فى أهل الكتاب..... ٤٥

النموذج الأوّل : التواصل الاجتماعى..... ٤٥

النموذج الثانى: الكرامة الإنسانية ٤٦

النموذج الثالث : المودّة والسلم..... ٥٠

حقوق أهل الكتاب فى دولة الرسول‌صلى الله عليه و آله ٥٣

١ ـ الحقوق الحياتية..... ٥٣

٢ ـ الحقوق الدينية ٥٤

٣ ـ الحقوق الخدماتية ٥٨

الخاتمة ٦١

مصادر الكتاب ٦٥

فهرس الموضوعات ٧١